



الثورة والثورة المضادة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط

www.socialistworld.net

2011 07 27

تقرير عن المناقشة العامة

ديفيد جونسون، الحزب الاشتراكي (اللجنة لأمية العمال في انكلترا وويلز)

هذا الأسبوع أنصار اللجنة لأمية العمال من أكثر من 30 بلداً حضروا المدرسة الصيفية في بلجيكا مع زوار من جميع أنحاء أوروبا الغربية والشرقية وروسيا ومن أمريكا الشمالية واللاتينية ونيجيريا وماليزيا وهونغ كونغ والشرق الأوسط.

وسوف ينشر الموقع الإلكتروني Socialistworld.net بعض مناقشات الأسبوع والأيام القليلة المقبلة. أدناه ملخص للمناقشة العامة حول التحركات الجماهيرية المعارضة التي اجتاحت شمال أفريقيا والشرق الأوسط، نظراً إلى مسارات الثورة والثورة المضادة.

وافْتُتحت الجلسة عن ثورات شمال أفريقيا والشرق الأوسط بمشاهد فيديو من مظاهرات حاشدة وإضرابات واعتصامات، جنباً إلى جنب مع الهجمات العنيفة ضد العمال والشباب. وتناقضت لقطات عن موجة النضال الجماهيري الذي يمتد من تونس إلى مصر وفي المنطقة مع فيلم عن الرئيس ساركوزي وهو يشرب نخب صحة مع بن علي وعن أوباما وهو يناقش مع مبارك.

وقال روبرت بيشرت في مقدمته للمناقشة أن بعض هذه المشاهد قد عادت في الأيام القليلة الماضية. مرة أخرى يتعرض المتظاهرون في القاهرة للهجوم من قبل عصابات مسلحة، ما يبيّن أن الصراع بين الثورة والثورة المضادة لم ينته بعد.

وأظهرت الانتصارات الأولية في تونس ومصر أن التحركات الجماهيرية قادرة على إسقاط أنظمة ديكتاتورية. ملايين العمال والشباب في جميع أنحاء العالم كانوا يتابعون الأحداث مباشرة، وظهر الأثر الدولي بعد أسابيع قليلة بعد سقوط مبارك وعندما اندلعت حركة جماهيرية في ولاية ويسكونسن في الولايات المتحدة وكانت معارضة للهجمات على النقابات، وكان هناك لافتات وشعارات تربط نضالهم بتونس ومصر. وفي حين أن الإلهام انتشر في وقت قصير إلى حركة "الغاضبين" في إسبانيا واليونان ودول أخرى، كان أكبر أثر لهذه الثورات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وفي حين أن كل ثورة لها خصائصها الخاصة، هناك مسار للماركسيين عامة أن يتعلموا منه. الإستراتيجية الواضحة هي أمر ضروري وهذا ليس فقط لتحقيق النصر النهائي للطبقة العاملة ولكن أيضاً في كل مرحلة من مراحل النضال.

أخذت الثورة التونسية الطبقة الحاكمة على حين غرة، وعندما تطورت الإضرابات العامة، وصلت إلى حالة من الذعر وتخلصت من بن علي في محاولة لاستعادة السيطرة. مبارك من ناحية أخرى حاول البقاء وكان واضحاً أن احتلال الميادين لم يكن كافياً. كان اللجان لأمية العمال تنادي الحركة للهجوم من خلال مبادرات مثل المسيرات إلى المباني الحكومية والإضراب العام. وعندما بدأت موجة الإضراب تتطور، ضباط عسكريون كبار، وهم يستندون على الإمبريالية الأمريكية، أجبروا مبارك على التنحي. في كلا البلدين، ضُحّي بالحكام القداماء من أجل بقاء الطبقة الحاكمة.

الانفجار الأولي للفرح حجب مؤقتاً حقيقة أن الأنظمة القديمة ما زالت في السلطة. لكن مكتسبات الحقوق الديمقراطية وحتى المحدودة منها توفر للعمال وسيلة للنضال من أجل حياة أفضل، وهذا ما يحدث في جميع أنحاء تونس ومصر. من خلال هذه المسار ترتفع ثقة العمال الذاتية ومفاهيمهم وتعمق الثورة. ولكن كيف يمكن للطبقة العاملة والشباب استخلاص استنتاجات ثورية كاملة من خبراتهم؟ وكيف يمكن أن تبنى حركة قادرة على التغيير المطلق في المجتمع؟ هذه هي الأسئلة التي يجب على الماركسيين الإجابة عليها.



اللجنة لأمية العمال تحاول تطبيق الدروس المستفادة من الأحداث الثورية الماضية. المهمة التي تواجه الطبقة العاملة ليست مجرد تنظيم نفسها ولكن للوصول إلى السلطة وخلفهم الطبقات المضطهدة الأخرى.

في مصر، السلطة الحقيقية لا تزال مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة. في حين أن المطالب المتزايدة من أجل حكومة مدنية حقيقية هي مطالب تقدمية، إذا تركت وحدها لا تطرح بديل للحكومة الرأسمالية التي إذا بقيت ستصطدم في نهاية المطاف في صراع مع الطبقة العاملة. اللجنة لأمية العمال تعارض مشاركة منظمات عمالية في أي حكومة تستند على الرأسمالية، ونؤكد أن الحركة العمالية يجب أن تسعى جاهدة لتشكيل حكومة من العمال والفقراء.

لقد شهدنا بالفعل في تونس ومصر مزاجاً متزايداً بأن السلطة انزلت من أيدي الطبقة العاملة أو أن العمال لم يحصلوا على ما يريدون من نضالهم. وكانت هناك تغييرات سريعة للحكومة في تونس وتعبئة جماهيرية متكررة في مصر مما يعكس المطالب المختلفة للحركة. ولكن في هذه المرحلة لا يزال هناك نقص في وضوح أهداف هذه الحركة.

الحاجة إلى برنامج

إنه غير كافي دمج الخطاب الثوري المجرد مع مطالب إصلاحية ورفض إلقاء الضوء على الحاجة إلى إسقاط الرأسمالية، مما يقوم به بعض المجموعات اليسارية. هناك حاجة إلى برنامج لربط القضايا اليومية والمعيشية بحاجة تغيير المجتمع، كما في الثورة الروسية عام 1917 عندما رفعت شعارات الحزب البلشفي التي جمعت بين المطالب بشعارات مثل "السلام والخبز والأرض" و "كل السلطة للسوفيات".

قضية أخرى تواجه الماركسيين هي كيفية التواصل مع الحركات الدينية التي ظهرت جنباً إلى جنب مع الحركات العمالية. إنها ليست كلها على درجة واحدة. لحشد الدعم من قبل الاشتراكيين ينبغي ربط النضال حول القضايا الديمقراطية وبالنضال حول القضايا الاجتماعية. في الوقت نفسه على الاشتراكيين تجنب التكيف الانتهازي مع الحركات الدينية. إن تقلبات قادة الإخوان المسلمين تجاه الاحتجاجات الأخيرة في مصر تشير إلى الضغوط المتضاربة التي يمكن أن تشق عنها قاعدتها. لكن مصر تكشف أيضاً عن المخاطر المحتملة للصراع الطائفي وهناك أيضاً مخاطر الاشتباكات الطائفية والوطنية في البلدان الأخرى. وقد استخدمت الخوف من هذه النامية في سوريا من قبل نظام الأسد في محاولة للحفاظ على السلطة. لقد أخاف النظام السوري الأقليات المسيحية وغيرها من شبح الصراع الطائفي الذي نشأ في العراق، وذلك للحفاظ على دعم النظام.

سوريا وليبيا

الانتفاضات في سوريا وليبيا لم تتطور كما تطورت في تونس ومصر. لدى نظامي الأسد والقذافي قاعدة أقوى في المجتمع مما كان لدى بن علي ومبارك. في ليبيا يرجع هذا جزئياً إلى أن عائدات النفط الليبي أعطت العمال، على الرغم من ارتفاع معدلات البطالة، مستوى معيشي أعلى قليلاً من غيرها في شمال أفريقيا. وكل من القذافي والأسد استخدم الخوف من التدخل الإمبريالي والصهيوني.

في ليبيا اندلعت وتطورت انتفاضة الشباب ضد فساد وقمع عشيرة الحاكم. لكنها لم تتلق فوراً الأبعاد النسبية والشاملة في الغرب، حيث يعيش الغالبية من الليبيين. وقيادة المعارضة نصبت نفسها في الشرق وتحركت باتجاه الإمبريالية وبدأت باستخدام العلم الملكي القديم، وهذا لعب دوراً لمصلحة القذافي وأعاق بناء الدعم في طرابلس والغرب. في سورية لم تتأثر حتى الآن دمشق وحلب بالاحتجاجات وهما أكبر مدينتين، ولكن بدأ يتغير هذا الآن مع احتجاجات واسعة في حلب. إذا امتدت إلى دمشق فإنها ستعني نهاية النظام في شكله الحالي.

وتخشى الإمبريالية تفكك سورية إلى دويلات منفصلة على غرار يوغوسلافيا وزعزعة استقرار المنطقة بأكملها، لذا تترك الباب مفتوحاً أمام إمكانية التوصل إلى اتفاق مع الأسد. ولكن فقط الحركة العمالية الموحدة تتخطى الانقسامات العرقية والدينية.

إن قصف حلف شمال الأطلسي (NATO) في ليبيا ليس فقط حرب من أجل النفط بل أيضاً من أجل هبة الإمبريالية الغربية. لقد أثار التدخل العسكري جدلاً واسعاً مع بعض اليسار الليبرالي الذي يعكس الرأي "يجب القيام بشيء ما" لمنع هجوم القذافي. وأشارت اللجنة لأمية العمال إلى تجربة الدول المجاورة لليبيا حيث كان قد أطاح النضال الجماهيري بالديكتاتوريات مما عزز الآن في تصعيد جديد للنضال في سوريا. وإذا تم تبني برنامج اشتراكي من الممكن أن تنشأ حركة عمالية مستقلة مع برنامج مستقل يؤدي إلى سقوط كل من القذافي والأسد وإلى القطع مع الإمبريالية والإطاحة بالرأسمالية. التقارير الأخيرة أن بريطانيا وفرنسا وغيرها من القوى قد تتقدم الآن على "السماح" لمؤسسة القذافي بالبقاء في ليبيا يعكس المأزق الحالي العسكري وسيطرة النظام المستمرة على أكبر المناطق في الغرب.



في أماكن أخرى من المنطقة تم قمع الانتفاضة. في البحرين كان ذلك بشكل مؤقت من قبل القوات السعودية وقيل القليل جداً عنها من قبل الحكومات الامبريالية. وكانت هناك احتجاجات صغيرة في المملكة العربية السعودية وهي قد تتطور في المستقبل. في المغرب كانت هناك مؤخراً مظاهرات ضد حزمة الإصلاح لدى الملك قائلة أنها لا تكفي. وفي حين أن الجزائر قد تأثرت بخبرتها في الحرب الأهلية، لكنها لن تبقى في مأمن من الحركات الثورية التي تجتاح المنطقة.

في فلسطين تطورت الاحتجاجات ضد حركتي حماس وفتح مما أدى إلى "اتفاق الوحدة الوطنية" في محاولة لاحتواء الموقف. في لبنان كانت هناك احتجاجات ضد الطائفية ولكن أيضاً تطور الوضع تعقيداً بسبب التطورات في سوريا. حتى في إسرائيل كان للثورات العربية أثر ظهر في حركة الاحتجاج الأخيرة وفي مدن الخيام.

ختم مقدمته روبرت بملاحظة أنه في كل عقد تقريباً من القرن العشرين كانت هناك ثورات. حتى الآن لم تكن سوى ثورة 1917 الروسية ناجحة، وذلك بسبب وجود الحزب الذي لديه فكرة واضحة عما ينبغي القيام به. وكان البلاشفة قادرين على كسب التأييد الشامل من قبل الطبقة العاملة. لا يمكن الإطاحة بالرأسمالية إلا عبر حركة واعية للطبقة العاملة، وهذا ما تهدف اللجنة لأمية العمال إلى بنائه.

تقارير شهود عيان من تونس ومصر

شرح متكلمان من المنطقة العمليات التي تجري في مصر وتونس. في مؤتمر اللجنة لأمية العمال في ديسمبر الماضي توقعنا أن تختمر الأزمة في مصر، ولكن لم نكن نتوقع أن تنفجر بسرعة. الآن الطنطاوي، زعيم المجلس الأعلى للقوات المسلحة في مصر، يدعي أن المجلس "يحرص مكاسب الثورة". تحت ضغط المظاهرات الضخمة الأخيرة وإعادة احتلال ميدان التحرير، أعلنت الحكومة المزيد من التنازلات مثل تخفيض سن الاقتراع إلى 25 من 30 عاماً، ونصف أعضاء المؤتمر الشعبي الجديد من العمال والفلاحين وحل قانون الطوارئ المكروه (باستثناء في التعامل مع "البطجية").

ومع ذلك فإن هذه التصريحات لم تكن راضية للمتظاهرين الذين لديهم مطالب أضيفت مثل تطهير كل أثر لأسرة مبارك من الأماكن العامة. في الوقت نفسه تحاول الحكومة الحد من الحركة عبر تدابير ضد الإضرابات. هذه السياسات والتدابير، جنباً إلى جنب مع السياسات الاقتصادية للحكومة، تجعل العاملين يروا الحكومة كحكومة الثورة المضادة وليس حكومة الثورة. وفي ظل الإضرابات التي بدأت تتطور مرة أخرى، تحاول الحكومة ورجال الأعمال الكبار إلقاء اللوم على الحركة العمالية قائلة أن الإضرابات تحجم الاقتصاد وتعزز استمرار المشاكل. وهذا سيؤدي إلى المزيد من الصراعات بين الطبقة العاملة والحكومة. بعد يوم من تنحي مبارك، كان هناك شعور واسع النطاق بوحدة الجيش والشعب. هذا الوضع يتغير الآن ولكن البديل ليس واضحاً بالنسبة للعمال.

وتفتقر الأحزاب اليسارية الرئيسية الخمسة إلى الإستراتيجية. ويشعر البعض بأنه يجب تأجيل الانتخابات حتى يتم تنظيم جبهة شعبية تشمل أيضاً ممثلين عن الأحزاب الرأسمالية. اللجنة لأمية العمال تشدد على ضرورة تشكيل جبهة موحدة حقيقية من منظمات العمال وخلق حزب عمالي جماهيري.

وتحدث رفيق تونسي وتمنى للمدرسة بأكملها أن تواجه تطورات ثورية مماثلة للتطورات في تونس. وقال أن جذور الصراع لم تكن في الفيسبوك ولكن في نضالات العمال في عام 2008 والتي قمعت بشدة. وعلى الرغم من أن الظروف أصبحت أكثر قسوة وازدادت السيطرة على وسائل الإعلام وتم التسلل إلى النقابات العمالية والحركات الطلابية وشكل ما يسمى بـ "المعجزة الاقتصادية التونسية"، فإنه لم يكن ممكناً احتواء التناقضات المتنامية. وكان جميع القوى السياسية، باستثناء حزب العمال الشيوعي التونسي (المأوي) وحفنة من الماركسيين، قد وقع اتفاقاً مع بن علي بعد انقلاب عام 1987.

ولكن انهار رأس النظام الذي ظهر وكأنه لا يُقهر. "الشعب يريد إسقاط النظام" هو الشعار الشهير ولكن معناه لم يتضح للكثير من الناس. إن العمال والفقراء مصررون على الدفاع عن الثورة. إنهم يحاولون تطبيق "الثورة الدائمة" على الرغم من أنها لم يقرؤوا تروتسكي.

النظام لا يزال قائماً على الرغم من التغييرات من وزراء الحكومة، وهو يمارس حملة ضد المضربين، وأصدقاء بن علي الذي ما زالوا في قيادة الاتحاد العام التونسي للشغل، ويجب تطهير النقابات.

مستقبل الثورة التونسية مهم للناس في جميع أنحاء العالم، وتوحيد جميع النضالات إلى نضال واحد لإسقاط النظام أمر حيوي لضمان نجاحها. تلك هي المهمة التي تواجه الماركسيين هناك وفي مختلف أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

